الحياة على مفترق طرق: تاريخ غزة

مدينة نسيها العالم ومع النسيان تزداد مقاومة وحياة

ابراهيم درويش *

■ احسن وصف لغزة المدينة والقطاع انها مدينة لا يستغني عنها القادم الى فلسطين ولا يحتاج الراحل اليها اي فلسطين للنزول بها طويلا. وغزة بهذا المعنى بوابة فلسطين والشام وحرز مصر وحاميتها من الغزاة، هكذا كانت غزة في الماضي ولا زالت، فهي معبر يحاول الغزاة والمحتلون التوقف بها والارتياض قبل الوصول للهدية الثمينة في فلسطين، القدس، او القاهرة في مصر. وغزة التي شاهدنا صور الحرب الفظيعة فيها في نهاية عام 2008 وبداية العام الحالي 2009 هي المكان على الكرة الارضية الكفيل دائما بتغيير مسار التاريخ، كان هذا المسار سيتغير لو القي القبض على نابليون بونابرت في مدينة خان يونس اثناء حملته على مصر، حيث تحدثنا كتب التاريخ انه تخلف عن جنوده وانقطع ليدخل المدينة التي كان اهلها يتراجعون الى خارجها بعد سماعهم عن انباء قدوم القوات الغازية اليها لكنه نجا بأعجوبة لينزل في بيت للمماليك ليلة واحدة قبل ان يواصل حملته الفاشلة على الساحل الفلسطيني.

من دمار الحلفاء الى جحيم اسرائيل

يلخص تاريخ المدينة التي كانت تغفو في ايام السلم بين بساتين البرتقال وتلال الرمال وتصحو على امواج البحر بانه سلسلة من الحروب والدمار والهدم، وموجات من الخروج والعودة، البناء والهدم. يذكرنا الدمار الحالي الذي قامت به اسرائيل بالمعركة الفاصلة بين قوى الحلفاء والمحور خاصة العثمانيين لهزيمة الجيش هذا وفتح الطريق امام البريطانيين والجنرال اللنبي التقدم نحو القدس. فتفاصيل المعركة الطويلة والتي كلفت بريطانيا الاف الجنود الذين تشهد عليهم المقبرة الانكليزية في غزة التي لم تسلم من الهجمات والتخريب اثناء الحرب الاخيرة، تظهر مدى الصعوبة التي واجهها البريطانيون للتغلب على الحامية التركية واخضاع المدينة. لكن غزة تلقت ضربة موجعة دمرت الكثير من معالمها خاصة المسجد العمري الذي يظل رمزا لعراقة المدينة الاسلامية، ظلت تعاني منها طوال الفترة الانتدابية الغظيعة، حتى هربت صويل المندوب السامي الاول على فلسطين اعترف بحقيقة الدمار الذي كان الاكثر على غزة من غيرها من المدن التي كانت مسرحا للعمليات. كان صمويل يتحدث عن وضع المدينة بعد ثلاثة اعوام من المعركة مشيرا الى ان عمليات البناء واعادة الاعمار بطيئة. كل الغزاة الذي حطوا رحالهم في المدينة او على حدودها تركوا قصصهم ورحلوا، لكن ما تركوه على نفسية السكان هو كراهيتهم للاحتلال، فقرون من الحروب والاحتلال غرست في قلوب السكان كراهية الاحتلال والمقاومة. غزة كانت في طليعة المقاومة الفدائية بعد حرب عام 1967 ومن غزة بدأت الانتفاضة عام 1987 ومن غزة انطلق الامل وانهار الحلم وظلت غزة كما هي مدينة على البحر وتحلم بالبحر.

ظلمتها الذاكرة وظلمها التاريخ

لكن قصة غزة لم تكتب ولم ينتبه اليها الكثيرون، حتى سكانها لا يعرفون الكثير عن تاريخها، إسأل أيا منهم عن عصور غزة من مروا بها سيقول انه مشغول بتأمين العيش والخبز بدلا من الانشغال بالتاريخ الذي يظل ترف من لا عمل لهم. اسأل اي فلسطيني ماذا يوجد في غزة فسيقول لك حالا: مخيمات لكن في القدس التاريخ، وعكا السور العظيم ومسجد الجزار، وفي نابلس سوقها القديم ومسجد الخضر، والخليل الحرم الابراهيمي واريحا قصر هشام ودير قرنطل، لكل مدينة في فلسطين معلمها الا غزة هذا على مدى الفهم العام والذهنية التاريخية. لو انتقلت الى السؤال الاخر، هل هناك كتب عن تاريخ المدينة، سيهرش الباحث رأسه باحثا عن كتاب عن تاريخها سيقول لك ارجع الى كتاب «بلادنا فلسطين» للمرحوم مصطفى مراد الدباغ وكفى وان كان عالما بالامر اكثر سيقول لك ان المؤرخ عارف العارف له كتاب عن غزة صدر عام 1943 وطبعته مطبعة دار الايتام الاسلامية، وان كان مطلعا على الكتابات الحديثة سيقول لك ان ابراهيم خليل سكيك اصدر عام 1982 كتابا تحت عنوان «غزة عبر التاريخ»، وان كان متجذرا بالمعرفة لقال ان عثمان مصطفى الطباع الغزي (1882 1950 –) له مؤلف من اربعة مجلدات تحت عنوان «اتحاف الاعزة في تاريخ غزة» من اقدم العصور مرورا بالحكم العثماني وحتى الانتداب البريطاني. وهو كتاب لم يطبع حتى الان على حد علمنا القاصر. حتى في كتبية العلم والعلماء دائما ما يُغمط حق غزة مع ان قربها من مصر والازهر جعلها في موقع قريب من العلم واهله ومساهمتها في الحركة العلمية الاسلامية والفلسطينية مهمة جدا فاحد علمائها عمل مفتيا للمدينة المنورة ولها حظ وافر من الشعراء والادباء في الماضي والحاضر.

حتى الطيور تتوقف فيها ثم تغادر

لكن غزة لم يكتب تاريخها او تسجل قصة حياتها على غرار المدن الفلسطينية الاخرى لان حياتها كانت ولا زالت منعطف طريق. حتى الجنود البريطانيون الذي رابطوا حولها في الحرب العالمية الاولى اكتشفوا امرا مهما اسهم في فهم العلم لطبيعة هجرة الطيور حيث تتخذ الطيور المختلفة من غزة معبرا لها ومنعطف طريق في رحلتها المتجددة والطويلة حول العالم. حتى في ادلة الرحلات والمسافرين الانكليزية لم تكن غزة الا معبرا، فهناك دليل يقول انه نظرا لعدم اهمية غزة الدينية للمسيحيين فلا يوجد فيها معالم واشار الى بعض النزل الموجودة فيها والتي يديرها اجانب. غزة ان ظلمتها ذاكرتنا القصيرة لم يظلمها التاريخ فمقاومتها مسجلة منذ القدم على المعابد المصرية وفي الالواح والرقم الاشورية وفي كتابات الرحالة المسلمين والاوروبيين، فهناك تراث من المقاومة والثقافة والمشاركة الاقتصادية للمدينة، عبر العصور، لكن المدينة وفي الفترات التي لم تعان فيها من الحروب والغزاة كانت تجد نفسها تحتَ رحمة الاوبئة فقد زارها الرحالة المعروف ابن بطوطة ووصف جمال بيوتها وبساتينها ومساجدها الكثيرة خاصة منبر مسجدها الجامع المعمول من الرخام. ولكنه مر بها بعد ستة عشر عاما من التجوال ليجد انها فقدت رونقها وهجرها سكانها واجتاح الوباء المدينة وحسب علمائها كان الموت يحصد من اهلها 1100 شخص في اليوم.

غزة هاشم ومهد الشافعي

لكننا يجب ان لا نوغل في ظلم ذاكرتنا فمجرد ذكر اسم غزة، يعيد الينا ارتباطها الروحي بميلاد الاسلام وعلاقة جد الرسول محمد صلى عليه وسلم، هاشم، فاذا كان لعكا سورها الذي جعلها لا تخشى من هدير البحر فلغزة هاشمها، الذي يربطها روحيا بالجزيرة العربية مهد الاسلام. ومن غزة انطلق الامام الشافعي، صاحب المدرسة الفقهية المعروف من بين المدارس الاربعة، الحنفية والمالكية والحنبلية والشافعية، حيث ولد الامام محمد بن ادريس الشافعي فيها وهو وان لم يعد اليها عادة استوطن القاهرة المحروسة من غزة ودفن فيها.

اشكالية صور وعرض

فكرة المدينة، الجبهة، المنعطف، مفترق الطريق هي ما تعلم قراءته الاعلامي البريطاني المعروف جيرالد بط، الذي يعرف المنطقة ونشأ فيها وعمل ولا يزال يعمل بها حيث يرى في تاريخ غزة سلسلة الحروب والغزوات التي لم تزد السكان الا صلابة. كتابه «الحياة على مفترق طرق: تاريخ غزة» الذي صدر عام 1995 واعاد نشره العام الحالي عن دار النشر التي يديرها في نيقوسيا/ قبرص يأخذ فكرة المدينة الجبهة ، البوابة المعبر كمفتاح لقراءة تاريخ المدينة ويوسع فهمه على الحاضر ويرحل بنا في تاريخ المدينة مع الغزاة وما خلفوه من آثار وحكايات، لكن بط المشغول باعطاء المدينة مكانها في التاريخ مهتم بعكس هذا التاريخ على الواقع، والكتاب صغير الحجم لا ينشغل كثيرا بالنقاشات الاكاديمية وانما سرد التاريخ من مصادره مع لقاءات ميدانية مع سكان المدينة بعضهم عاديون، اي غير اكاديميين، اضافة لمشاهداته الخاصة ويبدأ كل فصل من فصول الكتاب بمشهد كفيل بنقل نبض الحاضر وعودته للماضي. والكاتب منشغل في مصائر غزة وتوسعها وتوزعها بين اليأس احيانا والامل الذي انتهى اخيرا في الفترة القصيرة التي اعقبت اتفاق اوسلو عام 1993 وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية. اطار الكتاب السردي مهم لانه يقدم معلومات للقارئ الانكليزي والعربي عن هذا المكان المهم في فلسطين. وفي بداية الكتاب يتحدث متعجبا عن الطريقة التي تجاوز المؤرخون الا بقدر تاريخ المدينة لانها اي غزة كانت ضمن حساب اي قوة في التاريخ لكنها كانت الطريق للغاية، وهذا يعود الى قدر غزة كونها مرتبطة او قريبة من المدن الكبيرة التي صنع فيها التاريخ، دمشق، القاهرة والقدس، وعليه فالتاريخ لم يكن ليصنع لولا غزة. ويقول الكاتب ان هذه النظرة مهمة اليوم في القرن العشرين كما كانت مهمة في القرن الثاني، لانها تقع على اقدم منعطفات الطرق في العالم. ويرى ان احد اهم اسباب تجاهل تاريخ هذه المدينة يرتبط «بالصورة»، فالزائر للمدينة عبر اقدم طريق في العالم يمني نفسه برؤية الاماكن القديمة والبنايات والعالم، المحبذ للسائح الجوال لكنه اي سائحنا لن يجد الا الخيبة فلا علامة لهذا العالم والباحث عنه يحتاج للتنقيب عنه عبر غابة من البنايات المتداعية. هناك يصح لنا الان ان نشير بصيغة الماضي ان غزة «كانت» تشبه في ملامحها اي مدينة عربية من ناحية طبيعة البناء الحديث، الاعمدة المتطاولة تحتاج لاكمال البناء محاطة بثمان من المخيمات شوارعها مغبرة تختلط فيها السيارات بالعربات التي تجرها الحمير والبغال والخيول، يقول بط ان الفقر والتشرد هو الذي يجعل هذه الصورة «القديمة» تستمر في شوارع غزة حتى اليوم. اهل غزة، يقول الكاتب، تعودوا على فكرة ان عالمهم ومدينتهم ليست مرغوبة، بقعة منسية. لكن هذا الفهم مضلل، فالمدينة القديمة التي قامت على تلة صغيرة في الماضي كانت قادرة على التحكم بطريقة التجارة وشريان الحياة المهم لكل من سورية ومصر والجزيرة العربية. على العموم فغزة لا يوجد فيها الكثير من المعالم الاثرية وما اكتشف وحفر هو الان في يد افراد ومعظمه سرق ووضع في متحف الاثار الاسرائيلي في القدس وهو الذي يعود الكاتب لمقتنياته لوصف الحياة القديمة في غزة. وقد اصبحت المدينة اليوم التي بنيت في الماضي على تل صغير اكثر قربا من البحر، جاء هذا في سنوات الامل.

عمر المختار بدلا من جمال باشا

غزة المدينة يخترق قلبها شارع عمر المختار الذي يعتبر بمثابة سوقها ومركزها التجاري ومجرد اسم عمر المختار يعيد للذاكرة عروبة المدينة واصالتها وارتبطها بالهم القومي، فاسم الشارع القديم كان جمال باشا لكن بلدية المدينة قررت تغييره عام 1931 بعد ان اعدم الايطاليون الشيخ المجاهد في 16 ايلول (سبتمبر) من العام نفسه وجاء تغيير الاسم على الرغم من احتجاج القنصل الايطالي في القدس. يقول الكاتب ان الضغوط على مدينة غزة التي تبدو كمدينة عتيقة يسمع في احيائها «بياع الحليب» ويتصاعد الدخان من المخيمات المحيطة بها، ويلعب ابناؤها في الشوارع المغبرة والتي تصبح موحلة في الشتاء، تأتي اولا من الاحتلال العسكري الاسرائيلي وثانيا من الازدحام السكاني الذي جاء مع المهجرين الفلسطينيين عام 1948 وبحسب الاحصائيات فعدد سكان غزة يزيد كل عام بمعدل 400 الف نسمة كل هذا في وجه مصادر قليلة، ومن بين سكان غزة اليوم 1.1 مليون مسجلون كلاجئين. يقول بط ان سكان غزة نجوا وعاشوا في ظل عدم اهتمام العالم بهم وعاشوا على هامشه وكل هذا يفسر عدم اهتمام العالم بتاريخ غزة المدينة والقطاع. ولكنه يقول ان تاريخ غزة على الرغم من الاهمال الحاصل لا يمكن ان ينظر اليه معزولا عن تاريخ كل الممالك والحضارات التي نشأت في وادي النيل وبلاد الرافدين فكلها من الفراعنة والهكسوس والاشوريين والبابليين والرومان والفرس قاتلت للسيطرة عليها مما يجعل غزة مدينة ذات تجربة في الحرب وآثارها اكثر من اي مدينة اخرى في العالم. كتب الجنرال اللنبي عشية الهجوم على غزة لزوجته قائلا ان غزة لا مطر فيها اليوم مما يعني ان حركة الدبابات لن تتأثر وبلغة واثقة اعلن لزوجته انه في حالة عدم صمود الحامية العثمانية في غزة فهذا يعني انهم انتهوا، ومع خروجهم دمرت المدينة ومسجدها العمري القديم، التي قالت المصادر البريطانية ان العثمانيين استخدموه لتخزين الذخيرة، فهل يعيد التاريخ نفسه عندما قالت اسرائيل ان حماس استخدمت المساجد في الحرب الاخيرة؟

شمشون ودليلة: الاسطورة ومساحة الانتقام

«الحياة على مفترق طرق» يظهر تاريخ غزة في الماضي والحاضر بطريقة حية وكانت غزة معبر الفاتحين، فهي بالنسبة لاسرائيل منطقة انتقام، فاسحق رابين نقل عنه قوله انه يتمنى ان ينام ليصحو وقد غرقت غزة في البحر. اما الميجر اريبل شارون فقد نظم حملة قمع للمقاومة الفدائية في مرحلة ما بعد عام 1971 مستخدما اليد الحديدية ومعتقلا اكثر من 12 الف غزي. كل الغزاة تركوا آثارهم الا اسرائيل تركت الدمار وركام مستوطنات وذكريات عن القتل والاعتقال. السجن المركزي في غزة يذكر الفلسطينيين هناك بالبريطانيين الذين سجنوا فيه احرار المدينة وبعدهم جاءت اسرائيل. لكن تاريخ غزة الحقيقي يجب ان لا ينسينا ان علاقة اسرائيل ربما ارتبطت بعلاقة الفلسطينيين بالقبائل الاسرائيلية في القدم. فالمكان كان مشهد قصة توراتية معروفة واسطورية عن دليلة وشمشون الذي دمر المعبد على من فيه عندما استعاد قوته بنمو شعره على الرغم من فقء الفلسطينيين لعينيه. في الكثير من الاحيان يتم تبرير التاريخ بناء على اساطير واقاويل دينية وادعاءات تاريخية لكن القصة تعيننا على فهم العلاقة بين الفلسطيني والاسرائيلي فخلال اربعين عاما من الاحتلال لم تبن اسرائيل ولو مدرسة او مصنعا في القطاع وحولت اهله الى عمال سخرة في مصانعها ومزارعها. هل هو انتقام التاريخ؟

محاسن مصر وهدايا النيل

في التاريخ الحديث لغزة يحدثنا الكاتب عن الفرق بين سياسة الانتداب التي حددت التعليم للصف السابع وبين الانجازات التي قامت بها الثورة المصرية التي فتحت باب التعليم لكل سكان القطاع ووفرت لهم المنح والمقاعد الدراسية في الجامعات كي يتخرج منهم الاطباء والمدرسون والمهنيون، وكيف ان اعدادا منهم عملوا في الدول العربية. الانتداب اقام سكة الحديد التي ركبها جمال عبد الناصر عام 1948 للفلوجة لاغراض عسكرية اما المصريون الذين لا يعتبرون محتلين في الوعي الغزي فاقاموا مشاريع ولكنهم مثل اي نظام جديد حانق على القديم غيروا اسم مدرسة الملكة فريال للبنات الى مدرسة الزهراء، لكنه قارن مصر القديمة – الحديثة بمن يموتون الان في الانفاق وعلى المعابر ينتظرون بصمت وصبر فتح معبر فحياة مليون ونصف مليون ترتبط الان بمعبر يخرجهم من اكبر معسكر اعتقال في العالم.

يعيد بط تشكيل حياة المدينة والقها في التاريخ ويخرج ذاكرتها من بطون الكتب المنسية ويعرفنا على مشاركات غزة ليس في الدفاع عن المدن الكبيرة ولكن في المواجهة من اجل الحياة ومشاركتها في اقتصاد الدولة الاسلامية من ناحية الفواكه المجففة وزيت الزيتون والبرتقال الذي ينقل عن رحالة عربي قوله انه زرع في عمان بعد نقل نبته من الهند بحدود عام 912 وبعدها انتشر في كل انحاء سورية الطبيعية. وفي نهاية قراءته لتاريخ المدينة وما حولها يقول ان القرن الماضي بما فيه من حروب ومآس شكل شخصية الغزيين وفي الحاضر، فانه كلما طال الحصار وطال العزل بين اهل الضفة وغزة كلما ادى الى حالة طويلة من الفصل قد تؤدي لولادة هوية مختلفة شكلتها تجارب الحرب.

عن الكاتب جيرالد بط:

نشأ في منطقة الشرق الاوسط، عمل مراسلا لهيئة الاذاعة البريطانية، في بيروت اولا ثم القدس، ومحررا لمجلة «المشاهد السياسي»، وكذلك ميدل ايست ايكونوميك سيرفي «ميس» في قبرص. له خمسة كتب منها «اسد في الرمال» و«العرب»، وقدم ثلاث مسلسلات اذاعية عن المنطقة ويعمل من قبرص حتى الآن.

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

الكتاب:

Life at the Crossroads
A History of Gaza
New Edition
:By
Gerald Butt
Rimal Publications
Nicosia/ Cyprus
2009

عن الكتب وبينها!

لماذا يكره التشيكيون ميلان كونديرا؟

محمد حجي

■ مع أن كونديرا واحد من أشهر كتاب التشيك المعاصرين ،فإن معظم أبناء بلده لا يحبونه. وهنا تكمن المفارقة. لماذا التشيكيون يكرهون كونديرا؟ إذا كان سبب ذلك يرجع إلى ماضيه الشيوعي، فإن الرجل صفى حسابه مع ذلك النظام باعتباره يمثل أسوأ مرحلة في تاريخ بلاده. أكثر من ذلك، كلفه انتقاده للنظام الشيوعي السوفييتي تجريده من جنسيته التشيكية، خاصة بعد صدور روايته (كتاب الضحك والنسيان) 1978. أما إذا كان مصدر تلك الكراهية الفضيحة التي فجرتها أسبوعية ريسبيكت، التي تصدر في العاصمة التشيكية براغ،المتعلقة بتهمة الوشاية التي ألصقت بالكاتب الكبير فقد تمت تبرئته منها. وإذا لم يكن للسببين المذكورين يد في كراهية التشيكيين له،فبماذا نفسر هذا العداء بين الكاتب وأبناء وطنه؟

عندما زعمت أسبوعية ريسبيكت البراغية، في تشرين الاول (أكتوبر) الماضي، أن كونديرا وشى،سنة 1950، بجاسوس تشيكي يعمل لصالح الغرب مما أدى إلى سجن الجاسوس التشيكي لمدة 14 سنة، كان هذا الخبر بالنسبة لعدد كبير من التشيكيين بمثابة وحي نزل من السماء؛ كان الدليل القاطع على الروح الكالحة للروائي العجوز المتهم بالتخلي عن الوطنيين. ووفقا لهذه الأسبوعية، فإن كونديرا يكون قد وشى باسم ميروسلاف دفوراسيك للشرطة الشيوعية التشيكوسلوفاكية «إس. إن. بي» زمن الشيوعية. وهو شاب شيكي عبر إلى الغرب وعاد إلى بلاده كجاسوس غربي. كان دفوراسيك قد ترك حقيبة في الحي الجامعي حيث يقيم كونديرا. أدين دفوراسيك بالسجن لمدة اثنين وعشرين عاما، قضى منها أربع عشرة سنة في معسكرات الأعمال الشاقة قبل أن يفرج عنه. كونديرا من جانبه كذب اتهامات أسبوعية ريسبكت ورفضها ،وقد أثارت قضيته جدلا حادا بين مؤيديه الذين عبروا عن مساندتهم له إما عبر بيان تضامني كالذي نشرته مجلة لوبوان تحت عنوان «11 كاتبا ذوي سمعة عالمية يعلنون مساندتهم لميلان كونديرا» أو عبر شهادة تبرئه وتكشف الواشي الحقيقي؛ كشهادة المؤرخ زدينيك بيسات، وبين منتقديه (التشيكيين، على أساس تهمة الوشاية).

إن العداء بين كونديرا و هافل لا تمكن قراءته إلا كعداء بين كاتبين تشيكيين، صار أحدهما أشهر كتاب القرن الماضي، وأصبح الثاني رئيسا للجمهورية التشيكية. وقد ارتبط هذا العداء بسجال عام بين الطرفين حول تأويل أحداث 1968، فمن جهة، هناك طرف وطني مستعد للتضحية من اجل بلاده ويمثله هافل. من جهة أخرى هناك طرف أناني لا يعيش إلا لنفسه لا غير ويمثله كونديرا. فعلى امتداد العشر سنوات التي قضاها هافل رئيسا لجمهورية التشيك من (1993) إلى (2003)، كان يوشح مئات الشخصيات التشيكية البارزة ،من رجال العلم والأدب دون أن ينسى أياً من المعارضين السابقين، باستثناء كونديرا. فما السبب يا ترى؟. يقول الصحافي والكاتب التشيكي مارتن دانز في مقال نشره في أحد المواقع الإليكترونية: «بالنسبة للتشيك لا أحد يفكر في المنفى. فالأمر على هذا النحو: إن مغادرة رجل الأدب لوطنه تعادل تقريبا الخيانة العظمى». ويضيف إن كونديرا، غير مرحب به في بلده تشيكوسلوفاكيا، منذ أن فر منه». في قصيدة «الأرض تتكلم» (1921) للشاعر فيكتور ديك، يحذر الوطن أحد أبنائه من محاولات مغادرته. يقول الوطن على لسان الشاعر «لو تخليت عني، لن أموت غرقا، لو تخليت عني، ستموت غرقا» على الرغم من الهوة التي تفصل الشيوعين عن هذا الشاعر المحافظ، فإنهم صاروا يحبون أبياته في وقت لاحق حد جعلوا من تلك الأبيات سهاما تسدد لأعدائهم. أما الرئيس الحالي للجمهورية التشيكية فاكلاف كلاوس فقد كرر عدة مرات بشأن مواطنيه المنفيين أيام الشيوعية» إن الهجرة ليست حلا». والخلاصة كما يؤكد الكاتب التشيكي مارتن دانز هي أن التشيكيين لا يغفرون لأي أحد منهم مغادرة وطنه. اللهم إلا إذا قرر المخطئ التوبة وعاد إلى وطنه الأصلي. على خلاف باقي المعارضين، لم يعد كونديرا إلى وطنه، بل أسوأ من ذلك، نراه يعمق قطيعته مع بلاده عن طريق تغييره للغة التعبير،إذ وصل به الأمر أن يهجر لغته التشيكية التي كانت آخر وطن يقيم فيه، إلى اللغة الفرنسية. وحسب أسبوعية لوبوان، فإن هذه القضية ربما كلفت ميلان كونديرا جائزة نوبل وهو المرشح الدائم لها. وإذا كان الكاتب الذي أدار ظهره لوطنه لم يمت بعد، فإن وطنه فعل كل ما في وسعه لمنعه من الحصول على حياة سعيدة. والآن بعد تبرئة كونديرا من اتهامات «معهد دراسة الأنظمة الشمولية»، واتهامات أسبوعية ريسبكت التي هي بالمناسبة تابعة لأحد أعضاء الحكومة وهو وزير خارجية التشيكي الحالي كارل شوارزينجر صاحب الممتلكات والعقارات الكثيرة بتشيكوسلوفاكيا، لماذا لا يحب التشيكيون كونديرا؟ يربط بعض التشيكيين كراهيتهم لكونديرا بثلاثة أمور: أولها: تخليه عن التشيكية باعتبارها لغة الكتابة، والثانية :رفضه ترجمة كتبه للتشيكية، و ثالثها :عدم تواصله مع الجمهور(إنه يعود في بعض الأحيان إلى وطنه، ولكن دائما متنكرا).

هل كان كونديرا فعلا واشيا وخائنا في نظر التشيك أم تلك فقط مجرد تهم ملفقة من طرف السلطات البوليسية في الأنظمة الشمولية التي لا تتردد في فبركة الوثائق كلما أرادت تلويث سمعة أحد المعارضين؟

الكتب

مكتبة ابن سينا

(باريس)

الكتاب: الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان
المؤلف: حسن الصفار
الناشر: المركز الثقافي، المغرب، 2005
إن سيطرة الاستبداد السياسي على الأمة سمح بتقديم الإسلام كغطاء لأبشع القمع ومصادرة الحريات وانتهاك الحقوق في حقب طويلة من تاريخ الأمة. والأسوأ من ذلك ما فرخه ذلك الاستبداد من ثقافة تبريرية، إذ سادت تلك الثقافة التبريرية بلونيها الديني والأدبي مدعومة بقوة الخلافة وإمكانات السلطة، مع القمع الصارم للرأي الآخر والفكر التنويري.
إن غالبية دعاة الإسلام يتخذون موقف الشك والحذر من حركة حقوق الإنسان التي تسود العالم لانطلاق هذه الحركة من مجتمعات أخرى، ولوجود اختلاف في بعض الفاصيل، وتم إقناع هؤلاء الدعاة بأن حركة الدفاع عن حقوق الإنسان تشكل خطرا على الإسلام والمسلمين.
في هذا الكتاب نقد وتأمل في الخطاب الإسلامي المعاصر تجاه قضايا حقوق الإنسان.

الكتاب: شارون وحماتي
المؤلف: سعاد العامري
الناشر: دار الآداب، بيروت 2007
تحكي هذه الرواية عن يوميات الاجتياح الإسرائيلي لرام الله عام 2002 عن حماة في الثانية والتسعين من عمرها جاءت لتعيش مع البطلة وتتصرف كما تتصرف الحموات، عن استحالة الحب وثرثرة الجيران والجدار الفاصل، عن عبثية الحياة اليومية واحتضارها في بلد يحكمه نظام إسرائيلي قمعي بتصاريحه وحواجزه وعرقلته لحياة آلاف الفلسطينيين.

الكتاب: رائحة القرفة
المؤلف: سمر يزبك
الناشر: دار الآداب، بيروت، 2008
تحكي هذه الرواية عن علاقة سيدة دمشقية بخادمتها الصغيرة، وتغوص في عالميها العالم السفلي المدقع الفقر، وعالم الطبقة المترفة. وتتحول هذه العلاقة إلى لعبة قوية في يد الخادمة وتجعل منها المبرر الوحيد لشعورها بإنسانية مفقودة. تفتح هذه الرواية عوالم مغلقة وممنوعة الإشهار ، لأنها تمس أكثر مكامن الوجع في روح الإنسان الخائف والمقموع.

الكتاب: أنا متأسف
المؤلف: سميح القاسم
الناشر: منشورات إضاءات، الناصرة، 2009
هربت من الموت. خفت. وفي سر موتي اختبأت إليه لجأت من الموت. لكنني يا أخي. يا عجوي. مت وما مت خوفاً. أنا مت موتا. كما شئت أنت فخفت ولا بيت يحميَ. ولا وهم ينجي. ولا حكم ينصف أنا متأسف

مكتبة ابن سينا
rue Jussieu,75005 Paris 25
Tel:0143 54 63 07
Fax: 01 43293754
e– mail: avicenne@lib–avicenne.com

مكتبة دار الشروق

(القاهرة)

الكتاب : حدتو ذاكرو وطن
المؤلف : احمد القصير
الناشر : دار الثقافة الجديدة 2009
حدتو هو الاسم الحركي للحركة الديمقراطية للتحرر الوطني التي ضمت الكوادر الشيوعيين المصريين فيما قبل ثورة يوليو وقد لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية والثقافية في مصر رغم انها كانت منظمة سرية وقد وضعت في اربعينيات القرن الماضي جدول اعمال الحركة الوطنية المصرية .
والكتاب يتضمن دور حدتو في مجال النشر ودور حزب الثامن من يناير 1958 بين الوحدة والانقسام كذلك يتناول عدد من ادباء الحركة وشعرائها مثل كمال عبد الحليم وصلاح جاهين وفؤاد حداد بالاضافة الي انه يتضمن عددا من المقالات من وثائق وارشيف حدتو .

الكتاب : الطرائف الادبية
المؤلف : عبد العزيز الميمني
التقديم : مي يوسف خليف
الناشر سلسلة الذخائر بالهيئة العامة لقصور الثقافة
2009
يتضمن هذا الكتاب النادر على عدد من الاشعار التي لم تنشر الا مرات قليلة في الشعر العربي ؛ حيث يضم ديوان الافه الاودي وديوان الشنفري وتسع من القصائد النادرة كذلك يتضمن الكتاب ديوان ابراهيم بن العباس الصولي ومختارات نادرة من شعر المتنبي وابي تمام من اختيار الامام عبد القاهر الجرجاني والملف واحد من علماء اللغة العربية بالهند الغربية وقد درس الادب العربي في العديد من دول العالم وظل عضوا بمجمع اللغة العربية في مصر وسوريا حتي وفاته عام 1978 .

الكتاب : بريد بغداد – رواية
المؤلف : خوسيه ميجيل باراس
المترجم : صالح علماني
الناشر : سلسلة الجوائز بهيئة الكتاب
تتناول الرواية عالم بطلها الفنان التشيلي الشاب الذي يترك بلاده الي براغ حيث يتزوج من فتاة تشيكية ثم سافران الي العراق في اطار اجتماع طلابي ، لكن حبيبته تتعاقد للعمل هناك في مجال تدريس النسيج ويعود هو الي حيث جاء ثم تبدأ المراسلات بينهما ثم يختفي الزوج اثر الانقلاب علي الرئيس عبد الكريم قاسم واعدامه بتهمة الخيانة غير ان الزوج يتطوع بعد ذلك النضال في صفوف الاكراد والرواية في مجملها تتناول القهر والعنف السياسيين في مختلف صورهما

الكتاب : السوريالية في عيون المرايا
المؤلف : امين صالح
الناشر : افاق عالمية بالهيئة العامة لقصور الثقافة
يحاول الكتاب تقديم صورة بانورامية عن الحركة السوريالية باعتبارها حركة لتحرير العقل والابداع معا وذلك من خلال العديد من ادبيات الحركة ذاتها ومن هنا يقول امين صالح في مقدمة الكتاب: السوريالية ترسخت في الحياة بوصفها قوة محررة وأضحت جزءا من وجودنا .
يبدأ الكتاب بتعريف معمق للسوريالية ويتناول كذلك تاريخ معرفتنا بالسوريالية ثم علاقة السوريالية بالرواية والسينما ثم يتناول بأثيراتها وتقنياتها وسر عودتها الي الجوهر الغامض للاشياء.

مكتبة انطوان

(بيروت)

الكتاب: صفاء الخاطر– مقالات في السياسة والفكر
المؤلف: بشارة مرهج
الناشر: رياض الريس للكتب والنشر
هذا الكتاب الذي يجمع بين قضايا متعددة وشخصيات متنوعة لا يتمحور حول موضوع واحد بل يرتكز على مقاربة واحدة تجاه هذه القضايا والشخصيات. سعيت إلى أن يضم الكتاب كل مقالاتي في هذا المجال إلا أنني أخفقت إذ لم أعثر على بعضها وقد ضاع في غمرة الحروب والتنقلات التي عشناها في الحرب اللبنانية، فضلاً عن الإغارات الميليشياوية التي استهدفت منازل اللبنانيين ومكاتبهم وبعثرت أوراقاً سهر كاتبوها الليالي لتحريرها وتحملوا في سبيلها مشاق كثيرة.

الكتاب: الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية
المؤلف: فريد هاليداي
الناشر: دار الساقي للطباعة والنشر
يجري هذا الكتاب تحليلاً لشبه الجزيرة العربية وإيران ضمن السياق العالمي للاستراتيجية الغربية ما بعد الاستعمار والاقتصاد السياسي للنفط. ويقدّم هاليداي دراسة معمّقة لتاريخ المنطقة وسياساتها واقتصادِيّاتها، معتمداً في ذلك أسلوباً جامعاً ومشوّقاً. والواقع أن هذا المؤلّف الكلاسيكي أصبح مرجعاً ضرورياً للطلاب والأكاديميين ومختلف الراغبين في تعزيز فهمهم لشبه الجزيرة العربية. وهو يحافظ على صحّته في أيامنا هذه على الرغم من أنه صدر للمرّة الأولى في سبعينيات القرن العشرين. وتحتوي هذه الطبعة على مقدّمة جديدة للمؤلّف.

الكتاب: صدمة وصمود
المؤلف: كريم بقرادوني
الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
من هو العماد إميل لحود؟ وماذا عن عهده المحفوف بالزلازل الأمنية والسياسية؟ فيمَ كان يحلم؟ كيف تعامل مع ألدّ الأصدقاء والأعداء؟ من غدر بمن؟ من انقلب على من؟ من هو البريء الحقيقي ومن هو المدان الحقيقي؟ في هذا الكتاب يضع المؤلف النقاط على الحروف، ويعطي كل ذي حق حقّه بعدما شهدت السنوات الثلاث الأخيرة خلطاً عجيباً للأوراق وطمساً غريباً للحقائق.
لقاءات ثنائية لم تنقطع بين المؤلّف والرئيس لحود طوال عهده، أرّخت لأحداث ووقائع ظلت طي الكتمان لفترة طويلة، وفيها تمّ تبادُل للآراء حول أهم القضايا من التوطين، ودعم المقاومة، والعلاقة مع سوريا، والسعي إلى الإصلاح وما جرّ عليه ذلك من حرب إعلامية وسياسية داخلية وخارجية، عثّرت خطاه وعرقلت مشروعاته.
إضاءات على شخصيات لبنانية وعربية وأجنبية كان لها دور في ما جرى ويجري، حين يؤتى على ذكرها في سياقها، كحسن نصر الله ونبيه بري وميشال عون وأمين الجميل وسليمان فرنجية وريمون إده ورفيق الحريري وصائب سلام وبشار الأسد وياسر عرفات... وقفة مع حرب تموز/يوليو 2006، وما شهدته من انتصارات ومكائد ونيات مبيّتة وآراء متضاربة بقسوة حولها. مرافعة بقلم محام ماهر وباهر حاول رفع شيء من الظلم والإجحافَ والتجني عن رجل عُرف بوطنيته وصدقيته وولائه لمثله والوطن.

الكتاب: صمت يتمدد
المؤلف: سليمان الشطي
الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
هذه الرواية لم تكتب بالقلم، بل طرزت تطريزاً كاملاً بكل جمالياته وأناقته ... هنا غرزة محبوكة... هنا لون مكان لون....هذا التطريز وهذه الحياكة والصياغة، كما الذهب يصاغ، أدخلت إلى قلبي سعادة اتسعت لها محل الأرجاء...

رياض الصلح 11072050 بيروت ، لبنان
هاتف: 01/ 483513 فاكس : 01/ 510501
Najib.kassar@antoineonline.com
Website : www.antoineonline.com

مكتبة الاهلية

(عمان)

الكتاب: احتلال العراق ـ ربح الحرب وخسارة السلام.
المؤلف: علي عبدالأمير علاوي .
الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت.
**«كان المؤلف على مدى ثلاثين عاماً، من المعارضين لنظام البعث في العراق، وفي السنوات التي تلت تغيير ذلك النظام، شغل مناصب حكومية مرموقة، وشارك في قرارات وأحداث مهمة في البلاد. ولذا فإنه يعتمد في كتابه هذا، على خبرته الشخصية المميزة، وع

تمثالها الذي نجا من الخراب يطل على «المنطقة الخضراء»

شهرزاد بغداد باتت تصغي لحكاياتنا!

سعد القصاب *

■ طوت «شهرزاد» زمنا كانت فيه ربة الحكايا، ولاذت بصمت شديد الترقب، ذلك الذي يعقب سرد الحكاية الأخيرة. فمنذ ما يقارب الالف عام كفت هذه السيدة التاريخية عن القول، وكأنها ارتضت بدور شاهدة، مهمتها الوحيدة، الإصغاء للكلام.

عزوفها هذا، كان حالة تشبه الغياب، أمر لا بد له أن يصل إلى ضفة النهاية، متخليا عن كل بداية جديدة، أي كان الوعد الذي يتطلع إليه.

امرأة لم تعد لها قدرة ارتياد الخيال والقدوم منه حاملة في قلبها قصصاً لا تصدق، عن عالم عجائبي هي وحدها من تفردت دون نساء الأرض بابتكاره. لقد حدث ذلك مرة واحدة وللأبد. ولكن يبقى عزاؤها في كونها عاشت بهناء ة في التاريخ كأفضل من روى الحكايا.

سيدة ضاعفها الخيال، مرة حينما أوجدها ومرة ثانية حينما أوجدت حضورها بذريعة أنها كائن متخيل قادر على الإتيان بأي شيء. لقد مارست فعلا يخص جوهرها الاستثنائي كأنثى، وهو الكلام، فالطبيعة لا تقدر أن تلبث صامتة بمفردها تعيش كثافة الوحدة، فيما الحكي مشاركة، اكتشاف ما يُجهل، في أن تغدو المعرفة معه التقاء، وليس هناك أكثر من المرأة من يدّل على تلك الأسرار.

ما الذي فعلته «شهرزاد» !!.. قامت بسرد روايات متخيلة، دونما نهاية. فهي كانت تعلم أن حياة دونما دهشة أشبه بوجود لم يكتمل بعد. حتى وان تطلب الأمر إشغال ملك كان يتزوج كل ليلة بإحدى العذارى ليقتلها بعد ذلك فجرا، عبر التواصل بسرد قصص في ليالي تالية كي تعيش، وما كان من «شهريار» إلا أن يستمع لها، مأخوذا ومتغافلا عن رهانه المشؤوم بالقتل.

وحدها «شهرزاد» من احتفظت بخيال لم يرجئ وعد ملك بل أبطله. كانت أدرى بصناعة نهايات سعيدة، بعد أن قايضت الحياة بالكلام وأجّلت نهايتها، إذ ليس بمقدور احد سواها أن يحكي كي ينتصر أو يقترح بداية جديدة للخلاص. يكفي انها عاشت في عالم كان رئيفا بالعارفين.

لا شك أن مقدمة كهذه قد تصدق في الأدب وربما يجعلها التاريخ أمثولة لأحداثه، ولكن في الفن لا يعوّل عليها كثيرا،كونه مهنة لا تنتهي إليها الحوادث والموضوعات بل على العكس تبدأ منه، كما أن الفن أيضا لا يستسيغ التوقعات، بل يعمل خارجها، حتى في مجالاته الأكثر عيانية، مثل مجال النحت، الذي لا يستطيع الايمان بكلام يغيب في اللغة، قدر ما يؤثر معاني يتمثلها في أشكال صلبة تسعى للبقاء في المكان. النحت فن يتجنب توصيف الحكايا، لكنه يثق بالمادة لإبقاء فعل التعبير خالدا، وهو مكرس ليدوم زمنا أطول من التاريخ. تصور كهذا، أدركه النحات «محمد غني حكمت»، حين أراد أن يعمل نصب «شهرزاد وشهريار»، حيث كان عليه الاهتمام بتدابير أخرى، ومنها، عدم الاحتفاء بعلاقات الخطاب، وإنما السعي إلى ابتكار نموذج لا يعبر عن القول بل عن القائل. فانشغالات النحات ليست كانشغالات السارد وهو الأمر الذي فعله بامتياز.

النحات «حكمت» لم يبق «شهرزاد» شائهة في خيال الليالي تحكي وتتمنع، قدر ما أراد لها الهجرة خارج حكايتها، والخروج من جميع الليالي الالف وليلة التي سكنتها. ليبقيها أبدا في الليلة الأولى، عند بدايات ذلك الزمن الذي شرعت فيه أن تكون نساجة وحيدة لفطنة الحكايات وحكمة الخيال. أن تبقى موضوعا تتجلى فيه العزلة، يصف امرأة اختارت لوجودها مغامرة لا تتكرر، مرة بذريعة افتراضها في التاريخ وأخرى لكونها حاضرة في خيال فنان.

مفارقة أوجدت مصيرا جديدا لها، هو خلاصة ذلك الفارق بين الفن والتاريخ. فالأول يكتشف الذرائع فيما الثاني يسوّغها. نصب «شهرزاد وشهريار» امتيازه حكاية تم التعبير عنها بالنحت، فكل قول قابل على النسيان إلا المرئي الذي يبقى شاخصا كي يذكّر.

إلا أن الذرائع لا تحضر على هواها ولا تجد نفسها دونما أسباب، فلا بد من غواية ما تأتي بها، وليس أكثر من «شهرزاد» من فعل ذلك. ألم تغو «شهريار» ملك الهند والصين، وحتى العالم منذ عدة قرون؟ هكذا يحدثنا «ألف ليلة وليلة»، كتاب

تمثال شهرزاد في بغداد (القدس العربي)

لم يعرف مؤلفه كما لم تعرف صياغة واحدة عنه.

كيف الأمر إذن بنحات عاش في صوب «الكرخ»، مكان كان فضاؤه العجائبي بعض مادة تلك الحكايا وذاكرتها معا؟

حتى مدة زمنية قادمة، وربما طويلة، نبقى نعاين العديد من أعمال النحات «محمد غني حكمت»، وخاصة محفوراته من الأبواب الخشبية وتلك النصب التي أوجدها من عناوين حكايات ألف ليلة وليلة، نصب كهرمانة، شهريار وشهرزاد، السندباد البحري، وغيرها شاخصة في بغداد، بوصفها، اعادة ابتكار حكاية من قبل نحات لا يثق بتحولات الأسلوب ولكن بخاصية الموهبة، التي تنجز منحوتات تحتكم إلى مخيلة تأصلت في المكان الذي تأصل بدوره في الذاكرة.

ولكن حتى إجراءات النحات لا تخلو أيضا من الحكايات. لا يعلم الكثير أن النحات «محمد غني حكمت قد حطم» تمثال «شهريار» بالمطارق مع مساعديه بعد إنجازه للمرة الأولى، وكاد هذا الفعل أن يكلفه سحب العمل منه وتغريمه مبلغا أكثر مما تعاقد عليه ثمنا للنصب، لتأخره عن المدة الزمنية المقررة لإنهائه. لقد كان دافع عدم الرضا يبدأ حين يحدق إلى ما صنعت يداه. لم يكن واثقا من جلسة «شهريار»، كونه لم يشاهد أو يعرف كيف يجلس الملوك وهم يصغون للقصص في ذلك الزمن القديم. وهو الأمر الظاهر في تكوين النصب، حينما أبعد «شهريار» قريبا عن «شهرزاد»، وأجلسه مسترخيا على مصطبة تليق بالحدائق العامة ولكنها لا تصلح لجلسة الملوك، لقد أبقاه في وضع لا يكترث بوجوده، مأخوذا ومن دون تطلبّات، كما لم يبد مهتما بما تفعله «شهرزاد» أمامه، وهو ينظر حتى إليها، وكأنه منشغل برهان خاسر، جعله أخيرا أحد الأسباب الغفلة لحكاياتها.

فيما «شهرزاد» واقفة بنعومة، تتجلى فيها رقة امرأة تصغي لعطايا حكاياتها السابقة. وبعد أن توارت عن حضور قديم لأجل وجود جديد تمثله خيال نحات بغدادي. إنها الآن صنيعة فارق بين النحت والرواية، تحقق بأثر أسلوب فنان وليس بذريعة خصوبة الكلام.

أنجز نصب «شهرزاد وشهريار» في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وهو شاخص في احدى حدائق شارع «أبو نواس» المحاذي لنهر دجلة في الجانب الشرقي من الحاضرة التاريخية «بغداد».

وبخلاف أعمال نحتية ونصب تعرضت للتدمير والتخريب بعد الاحتلال الأمريكي إضافة إلى نهب المجموعة المتحفية في مركز الفنون، بقي هذا النصب شاخصا مطلا من صوب الرصافة على ما أطلق عليه منذ عام 2003 بـ«المنطقة الخضراء. مفارقة أكيدة، فعبر نهر دجلة، وعلى بعد مئات معدودة من الأمتار، كانت آلاف الأطنان من القنابل ترمى يوميا على هذا المكان، ولكن يبدو أن «شهرزاد» مصرة على الوجود حتى ولو بحضور آخر، لقد نجت ثانية من موت محتم، ولكن هذه المرة بأسباب صمتها وامتناعها عن الكلام.

لا شك ان شهرزاد تشهد لـ«بغداد» منذ ذلك التاريخ حياة غريبة عنها، مدينة لا يبدو فيها من يرغب أن تسمى بـ«دار السلام»، لقد تمت تهيئتها منذ عقود كي تكون «دار حرب» وانتهت كي تكون مدينة محتلة. وباتت حاضرة لا يمكن الحديث عنها باسترخاء مثل أي من المدن الخالدة. وهي الآن شبه غائبة عن الحياة، جريحة تماما ومباحة، للمحتل كما للقتلة، للسياسيين كما للأغبياء، للغرباء كما للقرويين . لا سور يحميها . مدينة تنازع عليها التاريخ سابقا وفي الحاضر تنازعتها السياسة. فيما تم حرقها مرتين، وسكنها الغزاة كثيرا، إلا أنها رغم ذلك ما زالت تحاول البقاء على طريقتها التي لا توصف.

علينا الانتظار، وعلينا التوقع، وعلينا أن نعرف أيضا من انها ما عادت تلك التي أسكنت مرة نفسها على حافة الخيال، وانتقلت في المعاني والقصائد والحوادث والحكمة، وتقربت من ضفة المجهول قليلا.

لا تعيش «شهرزاد» اليوم، كجميع نساء بغداد، أياما سعيدة، ليس لأن خيبة حياة لازمتها بأسباب أحداث عارضة، ولكن لأن موتا خاصا كان قريبا منها وحدها تعلم هول ما فعل بها، موتا بارعا كأي صناعة أمريكية. .!.

أتمثل «بغداد» كما «شهرزاد»، مطاردتين من قبل العزلة ومن ذكريات لا تخلو من التعاسة والوحشة والمشقة. فالمدينة كنظيرتها المرأة، تذوي بعد أن تُسرق أحلامها، وتصبح قليلة البوح، بل لا تجرؤ حتى على الكلام وكأنها مسكونة بحكاية أخيرة تبقيها لنفسها لكونها لم تنته بعد.

* فنان وناقد تشكيلي من العراق
saadalqassab@ yahoo.com

تداعيات

عـربية الشعـر

صلاح بوسريف *

[1]
« شعوري عميق أن العربيةَ لُغَةٌ، مكانُ الشِّعرِ فيها طبيعي، في حين أنه في الفرنسية، يجب أن نُصارِعَ باستمرار لنتذكَّرَ ذلك «

[2]
الكلامُ للشَّاعر الفرنسي، إيف بونفوا. جاء في سياق الحوار الذي أجراه معه محمد بن صالح، و هو نفسه مقدمة أنطولوجيا « الصَّوت و الحَجَر « . أشياء كثيرة جاءت في هذه المقدمة، لها أهميتُها في تأمُّل تجربة الشَّاعر، من جهة، و في تأمُّل أوضاع الشِّعر، في علاقته بغيره من مجالات الفكر والمعرفة، من جهة أخرى.

ما أثارني في هذا الحوار أكثر، هو هذا الإحساس العميق الذي عَبَّر عنه بونفوا، اتِّجاه العربية كلغة، وَضْعُ الشِّعْرِ فيها، أو مكانُه، كما يقول هو نفسه « طبيعي «. ما يعني أنَّ العربية هي لُغَةٌ، بطبيعتها، تُوحي بإيقاعاتها، و أنَّ الصَّوْتَ فيها، يُتيحُ لِمُتَلَقِّيه أنْ يَسْتَدْرِجَ اسْتِئْنَاءَ « الكلام «، أو شعرية اللغة، و هي تَتْكتبُ، في إطار علاقات، ليس من الضروري أن تقومَ على التَّجاوُر. فحتى التَّناحُر، لهُ، في هذه اللغة، ما يجعلُ من احْتِدَامَاتِه، تصير شعرا، أو ما يُوحي باختلاف الكلام، و انْشِراحِه.

[3]
لا تحتاجُ العربيةُ، وفق إحساس بونفوا، إلى تَذَكُّر شعريتِها، أو تَشْقيق هذا الشِّعْرِيَة، و توليدها، لأنَّ اللُّغَةَ، و أنا هنا، أعَمُّمُ الكلامَ على كُلِّ اللُّغاتِ، ليست مُنْشَقَّةً عن نفسها؛ لغة للشِّعر، و أخرى للنثر، فهي لغة واحدة. ماءٌ، لا لَوْنَ، و لا طَعْمَ له. و هي تَتَلَوَّنُ بحسب ما نُضْفيه عليها من ظلال، أي بما نضعه فيها من حياة، و ما نَبُثُّهُ فيها من حركة، أو من أنْفاس، أي ما يجعل من هذا الكلام يكونُ غير ما كانَ، قبل أن يخرج من سياقِ اللغة التي هي مادتُه المُشتَرَكة، و هي ما يملكه، أو يَتَمَلَّكُهُ مُسْتَعْمِلو هذه اللغة، دون استثناء.

[4]
عربيةُ الشِّعر، ما جاء في كلام بونفوا، هي عربيةُ اللغة، فهي عربيةٌ فيها تُزَاوِلُ اللغةُ انْفتَاحَها، تخرُجُ من المُشْتَرَك و المُتَدَاوَل، إلى الخاص و الاستثنائي. حتى عندما ننظُر إلى المفرداتِ معزولةً عن إيحاءاتها المُشتَرَكة، فهي تُوحي بتَوَجُّساتها. كُلُّ مفردة هي ذَرَّة قابلة للتَّفَتُّت إلى أكثر من جسم، و هي انشراحٌ لا نهَائيٌّ، العادَةُ ليست قَيْداً لها، فهي تجيءُ من عُشْبٍ، يَحْيا بما يَبُثُّهُ في التُّراب من نَوَى.

أنْفاسٌ تُوالِي من وَتِيرَةٍ تَدَفُّقِها.
نَفَسٌ، يَلِيهِ نَفَسٌ
هِيَ نَفْسُ حَرَكَةِ المَوْجِ الذي يَجِيءُ مِنْ مَدىً
لا حَدَّ لانْفِراطِه.

[5]
حين يُؤكِّدُ بونفوا على ما يمكن أن تعرفه الفرنسية من احتدام لتَذَكُّر شعريتها، فهو يُشير، في اعتقادنا، إلى تلك المواجهة اليومية الَّتي تَفْرضُها علاقة الشاعر بهذه اللغة، لتَفْتيقِ شعريتها، أو لتَوْليدِها؛ ما يمكن اعتباره تذكيراً للنِّسيان، بتعبير فوكو.

رُبما في العربية، كما أعرفُها، و كما أُزَاولُها، التذكيرُ، هو نوع من الصيرورة التي لا تفتأ تُذَكِّرُ بأُنوثتها، أعني، بذلك العُشب الذي لا تَنْفَرِط خُضْرَتُه، و لا تَزُول.

[6]
قد يبدو لمن يقرأ هذا الكلام، أنّ في العربية كثير من الكلام الذي لا خُضْرَةَ فيه، و أنَّ كلامي عن العربية، بهذا التعميم، هو إفراط، لا يشي بأدنى تَحَفُّظ. جوابي، طبعاً، هو أنني، حين أتحدَّثُ بهذا التعميم، فأنا أشيرُ إلى اللغة حين تكون سماءً، لا قَفَصاً، أقصدُ اللغةَ و هي مُتَحَلِّلة من المعنى، أو هي مفتوحة على كل الاحتمالات.

ما نقرأهُ من نصوص، مكتوبة بهذه اللغة، أو تلك، هي تحويلٌ للُّغَة، من هذا الانفتاح الكُلِّي، أو من هذه الاحتمالات المُفْرِطة، إلى دلالات، لا تَتَكَشَّفُ، باعتبار ما تقولهُ اللغة مُعجمياً، بل بما تَتَّخِذُهُ من أوضاع لَها صلة بطبيعة الرؤية التي تحكُم علاقةَ الكاتب بما يكتُبُه، لا بما هو مكتوبٌ سلفاً، أو راسخ في القوالب العامة المُشْتَرَكة.

[7]
الشِّعر وفق هذا المنظور، كتابة دائمة للُّغة. هو دَمُ اللغة. دَفْقُهُ هو ما يُعيدُ للُّغة حياتَها، و يخلق في جسمها حَرَكِيَّةً لا تعرف الانقطاع، يُجَدِّدُها و يُحْييها. إذا كانت العربية كلغة، تحمل في طَيَّاتها، أصواتاً كامنة، تُوحي بإيقاعات مُتنوعة، فَيَدُ الشاعر، تحتاج إلى مزيد من الرَّهافَة في تَعَقُّب هذه الإيقاعات، في الاستماع إليها، و تحويل مجراها من مُجَرَّد أصوات تَحْدُثُ بالطبيعة، إلى نَغَم، نسيجُ علاقاته، يَفيضُ باللغة عن بديهياتها، و يصبو بها إلى ما يفيض عن الطبيعة ذاتها، مثل حَجَر النَّحَّات تماماً.

ليس الشِّعرُ، في العربية، كما يُشير بونفوا، هو أن نكتفي باستدعاء الكلام دون وَعْي شعريته، فشعرية اللغة، و هي خام، لا تحمل في ذاتها أي معنى شِعْري، و لا يمكنُ أن تكون شعراً، فهي لغة تحتاجُ إلى اشتغال، و إلى توظيف يخرج بها من ذاتها، إلى ذات مَنْ يكتُبُها، أو « يَقُودُها «، كما يقول بونفوا نفسُه، في مُفْتَتَح الكتاب، و يصبو بها إلى أفق من الانشراح الشعري، الذي لا يَرْهَنُ الشِّعْرَ ذاتَهُ، في مُجَرَّد القصيدة، أو غيرها من المُقترحات التي عرفها الشعر، عبر مختلف مراحل ممارسته، بل يسمو بها إلى مجهولاتِ الشعر التي ليست هي الوزن، كما أنها ليست هي النثر، بل هي اللغة حين تُضَاعِفُ طبيعتَها، و تُصبح لُغَةً فوق اللغة.

* شاعر من المغرب

في شهرية «وجهات نظر»: ملف عن فوضى الشارع المصري وكلام عن نهاية عصر الصحافة الورقية

القاهرة ـ «القدس العربي»

صدر العدد الجديد من شهرية «وجهات نظر» وافتتحه رئيس التحرير أيمن الصياد بمقال تحت عنوان «الإعلام القادم» يتناول فيه مستقبل الصحافة الورقية الذي يراه منتهيا لا محالة في مقابل صعود نجم الصحافة الإلكترونية».

وقد نشر العدد مقالا مطولا ترجمه عماد محمود لأستاذ جامعة هارفارد الحاصل على نوبل 1998 في العلوم الاقتصادية «أمارتياش» تحت عنوان «ما بعد الرأسمالية».

يتناول المقال الأزمات التي حفل بها عام 2008 مثل أزمة الغذاء التي هددت الفقراء من المستهلكين وخاصة في أفريقيا، والارتفاع القياسي في أسعار النفط التي هددت جميع البلدان المستوردة للنفط، وأخيرا أزمة الكساد الاقتصادي العالمي التي تتسارع الآن بصورة مرعبة، ويتوقع الكاتب ازدياد معدل الكساد العالمي بحيث يصل الى ضخامة أزمة الثلاثينيات من القرن العشرين، بالإضافة الى معاناة الثروات الضخمة من حالات تدهور حادة، ويطرح أمارتياش سؤالا يدور حول طبيعة الرأسمالية، ما إذا كانت بحاجة إلى التغيير.

كما نشر العدد مقالا تحت عنوان «الإرهاب الحقيقي: وول ستريت» لكريس هيدجز ترجمه وليد سليم، ومقالا مطولا الدكتور حازم الببلاوي تحت عنوان «الأصول المسمومة» ويشير الى ان هذا المصطلح بزغ مع بزوغ الأزمة المالية العالمية، وكان نتيجة للتوسع المحموم في إقراض مدينين لا يتمتعون بالجدارة الائتمائية الكافية، كما عرض العدد لكتاب «تقويض الأساطير المؤسسة، متى وكيف جرى اختراع الشعب اليهودي»، لـ«شلومو ساند»، كما نشر فصلا من مذكرات نائب رئيس جهاز المخابرات عبدالفتاح ابو الفضل، ومقالا للكاتب محمد شومان تحت عنوان «الشارع القاهري» يقول فيه «إن حركة الناس والسيارات في شوارع القاهرة تجسد خطابا ذا خصوصية متميزة بكل المعايير، خطابا بالغ التنوع والتفرد والتعقيد، فهو لا يتشابه مع أي خطاب في أي مدينة أخرى من مدن العرب أو العجم، خطابا يعكس حال المجتمع والناس في مصر والعلاقات التي تربط بينهم بالسلطة من ناحية أخرى، كما يعكس الكثير من مكونات ثقافة المجتمع المصري، وما طرأ عليها من تغيرات بفعل ضغوط الحياة الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية التي نجمت عن ضعف وتراجع دور الدولة نتيجة التحول المشوه والمتعثر على رأسمالية السوق والاندفاع نحو الخصخصة علاوة على الآثار السلبية للعولمة».

نشر العدد ايضا مقالا تحت عنوان «الفضائيات السلفية» للباحث حسام تمام يقول فيه إن هذه الفضائيات يمكن النظر إليها كجزء من موضوع أسلمة الحداثة ليس عبر البوابة النظرية أو الفلسفية على النحو الذي انشغل به إسلاميو أسلمة المعرفة، وبشكل خاص تجربة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولكنه نوع من أسلمة الحداثة عبر توظيف منتجاتها في نشر الدعوة والفكرة الإسلامية.

ونشر العدد ايضا فصلا من كتاب ستيفن لاند سبيرج «الاقتصاد والحياة اليومية» ترجمة رشا سعد زكي، والكتاب صادر عن دار كلمات عربية للترجمة والنشر ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، كما نشر العدد قراءة في كتاب «ديوان العمارة والنقوش العربية» للدكتور محمد عبدالمنعم الجمل الصادر عن مركز الخطوط بمكتبة الاسكندرية، كما نشر العدد مقالا للسفير السيد أمين شلبي تحت عنوان «لماذا آسيا الآن؟!!».

كما تضمن العدد قراءة قدمها فكري أندراوس تحت عنوان «الصين»، رجال الأعمال يفسدون الديمقراطية، وكتب مصطفى المنشاوي «هل تحققت نبوءة نهرو؟».

وقد نشر العدد أيضا فصلا من كتاب إبراهيم البيومي غانم الصادر عن دار الشروق تحت عنوان «نصف قرن من العمل الإسلامي –1945 1995» والفصل حول القيادي الإخواني توفيق الشاوي، هذا بالإضافة الى باب الإصدارات الجديدة.

تصدر المجلة عن مؤسسة دار الشروق.

جرح الحسن والحسين

سلافة الماغوط

الأغصان عارية في فصل الربيع
الكعبة خالية في موسم الحج
السواح غير مهتمين بعجائب الدنيا السبع
الكل حزين عليك يا عراق
نقول قلة البخت تصيب الانسان
لا وطناً بكامله
منذ المغول والتتر حتى اليوم
دجلة والفرات شاهدا عيان
من كثرة ما شربا من حبر ودم ودموع
ما قلة البخت هذه؟

هل تحتاج الى سيدة النساء فاطمة الزهراء
لترقيك من العين؟
الى العفراء
لتجفف عرق الحمى عن ضفافك
وشوارعك؟
تعطيك وصفتها الخاصة من الأعشاب
لتبريك؟
المشكلة أن أعداءك
يسحقون أعشابها بأحذيتهم
يا وطن الأوطان
يا ملك الغابة
يا معشر العرب والعروبة
يا تاج الهلال الخصيب
يا كبد العالم العربي
يا جرح الحسن والحسين
إن الله يحبك ويحب كل مؤمن صبّار
أيوب تلوى من المرض
النار نزلت برداً وسلاماً على سيدنا ابراهيم
عيسى صُلب
لكنه سيعود
إنه التاريخ يقسو ويحنّ
ونحن مسيرون ولسنا مخيرين
بسم الله الرحمن الرحيم
«وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في
الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها، من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون».